الإمام الرضا (عليه السلام) في مواجهة الانشقاق الداخلي

الشيخ عبد الهادي الزيدي
باحث اسلامي/ الحلة

الخلاصة

ان اولى المواجهات التي خاضها الإمام الرضا (عليه السلام) بعد استشهاد ابيه (عليه السلام) هي التصدي للانشقاق الداخلي، وهي من المشكلات الخطيرة، لان العدو الداخلي اخطر بكثير من الاعداء الخارجيين المشخصين، لذا ورد أعدى اعدائك نفسك التي بين جنبيك.

الا انه (عليه السلام) تصدى لهم بكل حزم وابطل كل مدعياتهم باستخدامه كل الطرق التي من شأنها ان تدفع الباطل وتثبت الحقيقة.

ولهذه الدراسة المختصرة عدة اهداف، منها:

اولا: ان دراسة سير المعصومين وما مرت عليهم من احداث يثري الفكر الاسلامي ويسلط الضوء على اهم المنعطفات التي مرت بها الحركة الاسلامية عموما.

ثانيا: لا بد ان تكون الدراسات ذات اثر على حياتنا التي نعيشها اليوم، وهذه الدراسة المختصرة لجانب من جوانب حياة امام من الائمة المعصومين (عليهم السلام) تكشف لنا الطريق الاقصر والاصلح لعلاج المشكلات التي نواجهها اليوم، بخاصة اننا اليوم نعيش مواقف مشابهة وبشكل كبير من التي مرت بها الامة سابقا. فكم من بدعة اودت بحياة عدد لا يستهان به من شبابنا، وكم عقيدة ضالة اربكت الوضع الاجتماعي والسياسي، وكلها انشقاق في صفوف الكتلة الرسالية المؤمنة باتخاذ طريق اهل البيت منهجا وسلوكا في الحياة.

ثالثا: فهم التباين في المواقف التي جسدها الائمة المعصومون (عليهم السلام)، فهي تختلف باختلاف الظروف الموضوعية التي يمر بها القائد والمجتمع. فهناك من يحارب وهناك من يهادن وهناك من يتصدى للانحراف بنشر الجامعات وحلقات العلم وهناك من يربي الناس بطريقة الدعاء الى غير ذلك من الاساليب والطرق. والعمدة هو حجم ونوع التحديات التي تواجه المجتمع، والمستوى الفكري والاجتماعي والثقافي الذي وصل اليه المجتمع. وعلى هذين المستويين يبنى موقف القائد.

رابعا: هذا النمط من الدراسة يكشف لنا القيادة المنسجمة مع ما سار عليه المعصومون (عليهم السلام) كونهم يجسدون الاب الحقيقي للامة، وعلى الاب ان يرعى الصغير والكبير والصحيح والسقيم

والجاهل والعالم، وان يستشعر الرحمة في قلبه تجاههم، والا يكون انتقائيا في توزيع ابوته على المجتمع، فالكل هم بحاجة الى الرعاية.

والحمد لله اولا واخر

المقدمة

ان الحديث عن الإمام الرضا (ع) حديث طويل لكثرة الاحداث التي عاشها ، كما هو حال ابائه الطاهرين، اضف الى ذلك انها احداث ليست تاريخية وحسب، بل انها احداث تاريخية لها علاقة وطيدة بالعقائد والاحكام الشرعية وما يترتب عليها من مواقف. بالإضافة الى ان دراسة سير المعصومين (عليهم السلام) لا تجدي نفعا اذا كانت بالطريقة المعهودة وهي (الدراسة التجزيئية) اي يدرس كل امام من الائمة الاطهار بمعزل عمن سبقه وعمن لحقه، اي يسلط الضوء على ولادته ونشأته وزوجاته واهم الاحداث التي مرت عليه الى غير ذلك مما يتعلق بسيرته. على الرغم من اهمية هذه الدراسة، ولا يمكن بحال التخلي عنها، الا ان الوقوف عليها والاكتفاء بها ليس صحيحا ويضيع على الباحث وبالنتيجة على القارئ او المستهلك لهذه الثقافة كثيرا من الحقائق. من هذه الفكرة تولدت ونشأت نظرية دراسة سير المعصومين (عليهم السلام) بالطريقة الكلية، وهي ان ننظر اليهم على اساس انهم شخصية واحدة تعددت بتعدد الظروف الموضوعية التي تحيط بهم، كما عبر السيد الشهيد الصدر الاول (قد) بتنوع ادوار ووحدة هدف.

ولذا فاذا اردنا ان ندرس سيرة امام من الائمة المعصومين (عليهم السلام) فعلينا ان نأخذ بنظر الاعتبار كل الادوار التي قام بها الائمة قبله وبعده، لان الكثير من المواقف التي يتخذها بعض الائمة هي في مقام شرح لمواقف سابقة قام بها بعضهم او موقف قام به امام سابق ليوضح للإمام اللاحق، ونضرب لذلك مثلا:

ورد عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إن ولايتنا عرضت على السموات والأرض والجبال و الأمصار ما قبلها قبول أهل الكوفة[1].

عن عبد الله بن الوليد الكندي قال : دخلنا على أبي عبد الله (عليه السلام) في زمن مروان فقال : من أنتم ؟ فقلنا : من أهل الكوفة ، فقال : ما من بلدة من البلدان أكثر محبا (محبة) لنا من أهل الكوفة ولا سيما هذه العصابة ، إن الله جل ذكره هداكم لأمر جهله الناس وأحببتمونا وأبغضنا الناس واتبعتمونا وخالفنا الناس و صدقتمونا وكذبنا الناس فأحياكم الله محيانا وأماتكم [الله] مماتنا[2].

جاءت هذه الروايات عن الصادق (عليه السلام) لوجود حملة شرسة من الامويين بعد ان عجزوا عن تغيير ولاء اهل هذه المدينة لأهل البيت (عليهم السلام) بعد ان مارسوا ضدهم كل انواع التعذيب واتبعوا كل اساليب التسقيط، لكن دون جدوى.

وفي الوقت نفسه جاء العباسيون ليطمسوا معالم هذه المدينة الموالية لأهل البيت (عليهم السلام) بقيامهم باختيار بغداد عاصمة لهم وعرضوا كل الاغراءات لجلب الشخصيات اليها ليخفت نور مدينة الكوفة، وليقضوا على كل ما يذكر بعلي بن ابي طالب (ع). وليس اعتباطا ان يظهر الله تعالى قبر الإمام علي (عليه السلام) في ايام هارون العباسي في ظهر الكوفة النجف الاشرف.

بعد هذا المثال يتضح ان فهم مواقف المعصومين (عليهم السلام) هي كالآيات القرآنية يشرح بعضها الاخر على طريقة تفسير القران بالقران او طريقة التفسير الموضوعي.

قلنا ان الجوانب من حياة الإمام الرضا (ع) كثيرة وكل جانب من هذه الجوانب يحتاج الى تفصيل وشرح وافٍ كي تعطى الدراسة حقها، مع الاخذ بنظر الاعتبار ان فهمنا يجب ان يكون متجدداً بتجدد الظروف الموضوعية التي تحيط بنا، ولا يمكننا الاقتصار على فهم محدد فسيرتهم فيها من القدرة على ان تجاري كل الازمنة وعلى اختلاف الاذواق والمشارب. فسيرتهم تأخذ الصفة القرآنية من الخلود فالقران قادر على ان يواكب كل المتغيرات والظروف مهما كثرت وتشعبت.

قدمنا هذه المقدمة لان الجانب الذي اخترنا البحث فيه جانب حيوي وهو متكرر في كل زمن، وهو من الابحاث التي تنفع المجتمع، وهو بأمس الحاجة اليها، لأنه يواجه وبشكل مستمر الانحرافات التي تعصف به يمينا ويسارا، ومعرفة دوافع من اسسوا لهذا النمط من الانحراف حتى يمكن ان يشخصوا ولا يمكنهم الوصول الى غاياتهم وتضليل المجتمع، وتشخيص الطريق الانجع لمواجهتهم. بالإضافة الى انه يظهر جانباً مهماً من المسؤوليات التي قام بها المعصومون (عليهم السلام) وهو اثراء الفكر الاسلامي.

ولادته ووفاته ومكان قبره

قال كمال الدين بن طلحة : أما ولادته (عليه السلام) ففي حادي عشر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة ، بعد وفاة جده أبي عبد الله (عليه السلام) بخمس سنين وأمه أم ولد تسمى الخيزران المرسية . وقيل شقراء النوبية ، واسمها أروى وشقراء لقب لها ، وكنيته : أبو الحسن ، وألقابه : الرضا ، والصابر ، والرضي والوفي ، وأشهرها الرضا . وأما عمره فإنه مات في سنة مائتين وثلاث ، وقيل : مائتين وسنتين من الهجرة في خلافة المأمون ، فيكون عمره تسعا وأربعين سنة ، وقبره بطوس من خراسان بالمشهد المعروف به (عليه السلام) . وكانت مدة بقائه مع أبيه موسى عليه السلام أربعا وعشرين سنة وأشهرا ، وبقاؤه بعد أبيه خمسا وعشرين سنة .

وقال الحافظ عبد العزيز : مولده (عليه السلام) سنة ثلاث وخمسين ومائة وتوفي في خلافة المأمون بطوس ، وقبره هناك ، سنة مائتين وستة ، أمه سكينة النوبية ويقال : ولد بالمدينة سنة ثمان

وأربعين ومائة ، وقبض بطوس في سنة ثلاث ومائتين وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة ، وأمه أم ولد اسمها أم البنين .

ولد عليه السلام بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة ، ويقال : إنه ولد لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة يوم الجمعة سنة ثلاث وخمسين ومائة بعد وفاة أبي عبد الله (عليه السلام) بخمس سنين ، وقيل : يوم الخميس وأمه أم ولد يقال لها أم البنين واسمها نجمة ، ويقال : سكن النوبية ويقال : تكتم وقبض (عليه السلام) بطوس من خراسان في قرية يقال لها سناباد في آخر صفر ، وقيل : إنه توفي في شهر رمضان لسبع بقين منه يوم الجمعة من سنة ثلاث ومائتين ، وله يومئذ خمس وخمسون سنة ، وكانت مدة إمامته وخلافته لأبيه عشرين سنة[٣].

وكانت في أيام إمامته بقية ملك الرشيد ، وملك محمد الأمين بعده ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوما ، ثم خلع الأمين واجلس عمه إبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة أربعة عشر يوما ، ثم اخرج محمد ثانية وبويع له ، وبقي بعد ذلك سنة وسبعة أشهر ، وقتله طاهر بن الحسين ، ثم ملك المأمون : عبد الله بن هارون بعده عشرين سنة ، واستشهد (عليه السلام) في أيام ملكه .

علة التسمية

في عيون أخبار الرضا (ع) : عن البزنطي قال : (قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن موسى (عليهم السلام) : إن قوما من مخالفيكم يزعمون أن أباك إنما سماه المأمون الرضا لما رضيه لولاية عهده ؟ فقال (عليه السلام) : كذبوا والله وفجروا بل الله تبارك وتعالى سماه بالرضا (عليه السلام) لأنه كان رضي لله عز وجل في سمائه ورضي لرسوله والأئمة بعده صلوات الله عليهم في أرضه ، قال : فقلت له : ألم يكن كل واحد من آبائك الماضين (عليهم السلام) رضي لله عز وجل ولرسوله والأئمة بعده (عليهم السلام) ؟ فقال بلى ، فقلت : فلم سمي أبوك (عليه السلام) من بينهم الرضا ؟ قال : لأنه رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه ، ولم يكن ذلك لاحد من آبائه (عليهم السلام) فلذلك سمي من بينهم الرضا (عليه السلام). وعن الدقاق ، عن الأسدي ، عن سهل ، عن عبد العظيم الحسني ، عن سليمان بن حفص قال : كان موسى بن جعفر (عليهما السلام) يسمي ولده عليا (عليه السلام) الرضا وكان يقول : ادعوا لي ولدي الرضا وقلت لولدي الرضا ، وقال لي ولدي الرضا وإذا خاطبه قال : يا أبا الحسن[٤].

النص على امامة الرضا (عليه السلام)

إن الروايات التي وردت بالنص على امامة الإمام الرضا (عليه السلام) كثيرة جدا لا يمكننا ان نأتي على ذكرها جميعا، وسنكتفي بذكر نماذج منها:

فعن نعيم بن قابوس قال : قال أبو الحسن (عليه السلام) : علي ابني أكبر ولدي وأسمعهم لقولي وأطوعهم لأمري ينظر معي في كتاب الجفر والجامعة وليس ينظر فيه إلا نبي أو وصي نبي(٥).

وورد عن محمد بن الفضيل قال : حدثني المخزومي – وكانت أمه من ولد جعفر بن أبي طالب – ، قال : بعث إلينا أبو الحسن موسى فجمعنا ثم قال : " أتدرون لم جمعتكم ؟ " فقلنا : لا ، قال : " اشهدوا أن ابني هذا وصيي ، والقيم بأمري ، وخليفتي من بعدي ، من كان له عندي دين فليأخذه من ابني هذا ، ومن كانت له عندي عدة فليتنجزها منه ، ومن لم يكن له بد من لقائي فلا يلقني إلا بكتابه(٦).

وعن المفضل بن عمر قال : دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) وعلي ابنه (عليه السلام) في حجره وهو يقبله ويمص لسانه ، ويضعه على عاتقه ويضمه إليه ويقول : بأبي أنت ما أطيب ريحك وأطهر خلقك وأبين فضلك ؟ قلت : جعلت فداك لقد وقع في قلبي لهذا الغلام من المودة ما لم يقع لاحد إلا لك ، فقال لي : يا مفضل هو مني بمنزلتي من أبي (عليه السلام) ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم قال : قلت : هو صاحب هذا الامر من بعدك ؟ قال : نعم من أطاعه رشد و من عصاه كفر(٧).

هذا نموذج من الروايات التي وردت بالنص على امامة الإمام الرضا (عيه السلام).

الظروف المحيطة بالإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام)

لا يخفى ان الإمام الكاظم (عليه السلام) عاش حياة قاسية بخاصة في نهايتها ابان تولي هارون العباسي لأمر الدولة الاسلامية. وكان المتضررون والمتزلفون للبلاط الملكي يسعون للإطاحة بالإمام (عليه السلام) والوشاية به اما لتفرغ لهم الساحة او للتقرب من الحاكم والبحث عن المناصب الدنيوية، بخاصة انهم يعلمون بغض العباسيين لآل الرسول محمد (صلى الله عليه واله) ويعدونهم على طول الخط انهم المنافسون لهم في قيادة الامة

قال هارون يوما لبعض ثقاته : (أتعرفون لي رجلا من آل أبي طالب ليس بواسع الحال يعرفني ما احتاج إليه من اخبار موسى بن جعفر ؟ فدل على علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد ، فحمل إليه يحيى بن خالد البرمكي، وكان موسى يأنس إليه ويصله وربما أفضى إليه بأسراره ، فلما طلب ليشخص به أحس موسى بذلك ، فدعاه : إلى أين يا بن أخي ؟ قال : إلى بغداد قال : علي دين وانا مملق ، قال : فأنا اقضي دينك وافعل بك واصنع ، فلم يلتفت إلى ذلك ، فعمل على الخروج ، فاستدعاه أبو الحسن موسى فقال له : أنت خارج ؟ فقال له : نعم لابد لي من ذلك فقال له : انظر يا بن أخي واتق الله لا تيتم أولادي ! وأمر له بثلاثمائة دينار ، وأربعة آلاف درهم . قالوا : فخرج علي بن إسماعيل حتى اتى يحيى بن خالد البرمكي ، فتعرف منه خبر موسى بن جعفر ، فعرفه إلى الرشيد وزاد فيه ، ثم أوصله إلى الرشيد

فسأله عن عمه فسعى به إليه ، فعرف يحيى جميع خبره وزاد عليه وقال له : إن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب . وإن له بيوت أموال ، وانه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فسماها اليسيرة ، وقال له صاحبها وقد أحضره المال : لا آخذ هذا النقد ولا آخذ إلا نقدا كذا وكذا ، فأمر بذلك المال فرد وأعطاه ثلاثين ألف دينار من النقد الذي سأل بعينه ، فسمع ذلك منه الرشيد وامر له بمائتي ألف درهم نسبت له على بعض النواحي ، فاختار كور المشرق ، ومضت رسله لقبض المال . ودخل هو في بعض الأيام إلى الخلاء فزحر زحرة فخرجت حشوته كلها فسقطت ، وجهدوا في ردها فلم يقدروا ، فوقع لما به،وجاءه المال وهو ينزع فقال:وما اصنع به وانا اموت ؟ !

وحج الرشيد في تلك السنة فبدأ بقبر النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : يا رسول الله إني اعتذر إليك من شيء أريد أن افعله أريد أن احبس موسى بن جعفر ، فإنه يريد التشتت بين أمتك وسفك دمائها . ثم امر به فأخذ من المسجد فأدخل إليه فقيده ، وأخرج من داره بغلان عليهما قبتان مغطاتان هو في إحداهما ، ووجه مع كل واحدة منهما خيلا ، فأخذوا بواحدة على طريق البصرة ، والأخرى على طريق الكوفة ، ليعمى على الناس امره ، وكان موسى في التي مضت إلى البصرة ، فأمر الرسول ان يسلمه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور ، وكان على البصرة حينئذ فمضى به ، فحبسه عنده سنة ثم كتب إلى الرشيد : ان خذه مني وسلمه إلى من شئت ، وإلا خليت سبيله فقد اجتهدت ان آخذ عليه حجة فما أقدر على ذلك ، حتى إني لا تسمع عليه إذا دعا لعله يدعو علي أو عليك فما أسمعه يدعو إلا لنفسه ، يسأل الله الرحمة والمغفرة)[٨].

من الملاحظ ان رغبة هارون في التخلص من الإمام الكاظم (عليه السلام) وطمع البعض وتزلف البعض الاخر كله اسهم بقتل الإمام (عليه السلام). وهذه الدوافع لم تنته بقتل الكاظم (عليه السلام) بل هي السبب دوما في قتل اهل الحق.

وقد بقي الإمام الكاظم (عليه السلام) في سجون هارون العباسي مدة تتراوح بين (٧ ـ ١٠) سنوات وقيل ١٤ سنة على اختلاف الروايات حتى انتقل الى جوار ربه شهيدا مسموما.

اثناء سجن الإمام الكاظم (عليه السلام) كان بعض اصحابه الثقات (ظاهرا) هم من يستلم الحقوق الشرعية من المؤمنين التي كانت تجبى للإمام. فطمعوا بها بعد استشهاده وكان السبب الرئيس لظهور انشقاق في اتباع اهل البيت (عليهم السلام). هذا ما فهمه اغلب المؤرخين والمحدثين، فقد ورد عن بعضهم:

(كان بدء الواقفة أنه كان اجتمع ثلاثون ألف دينار عند الأشاعثة زكاة أموالهم وما كان يجب عليهم فيها ، فحملوا إلى وكيلين لموسى (عليه السلام) بالكوفة أحدهما حيان السراج ، والاخر كان معه ،

وكان موسى (عليه السلام) في الحبس ، فاتخذا بذلك دورا وعقدا العقود واشتريا الغلات . فلما مات موسى (عليه السلام) وانتهى الخبر إليهما أنكرا موته ، وأذاعا في الشيعة أنه لا يموت لأنه هو القائم فاعتمدت عليه طائفة من الشيعة وانتشر قولهما في الناس ، حتى كان عند موتهما أوصيا بدفع ذلك المال إلى ورثة موسى عليه السلام ، واستبان للشيعة أنهما قالا ذلك حرصا على المال)[٩].

او فهموا من بعض الروايات الواردة سبب نشوء فرقة الواقفة هذا المعنى نفسه ، منها:

عن يونس بن عبد الرحمن قال : (مات أبو إبراهيم (عليه السلام) وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير ، وكان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته ، طمعا في الأموال ، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار ، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار . فلما رأيت ذلك وتبينت الحق وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ما علمت ، تكلمت ودعوت الناس إليه ، فبعثا إلي وقالا ما يدعوك إلى هذا ؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار ، وقالا [لي]: كف . فأبيت ، وقلت لهما : إنا روينا عن الصادقين (عليهما السلام) أنهم قالوا : (إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه ، فإن لم يفعل سلب نور الايمان " وما كنت لأدع الجهاد وأمر الله على كل حال ، فناصباني وأضمرا لي العداوة)[١٠].

وعن يعقوب بن يزيد الأنباري ، عن بعض أصحابه قال : (مضى أبو إبراهيم (عليه السلام) وعند زياد القندي سبعون ألف دينار ، وعند عثمان بن عيسى الرواسي ثلاثون ألف دينار وخمس جوار ، ومسكنه بمصر . فبعث إليهم أبو الحسن الرضا (عليه السلام) أن احملوا ما قبلكم من المال وما كان اجتمع لأبي عندكم من أثاث وجوار ، فإني وارثه وقائم مقامه ، وقد اقتسمنا ميراثه ولا عذر لكم في حبس ما قد اجتمع لي ولوارثه قبلكم وكلام يشبه هذا . فأما ابن أبي حمزة فإنه أنكره ولم يعترف بما عنده وكذلك زياد القندي . وأما عثمان بن عيسى فإنه كتب إليه إن أباك (صلوات الله عليه) لم يمت وهو حي قائم ، ومن ذكر أنه مات فهو مبطل ، وأعمل على أنه قد مضى كما تقول : فلم يأمرني بدفع شيء إليك ، وأما الجواري فقد أعتقهن وتزوجت بهن[١١].

الحقيقة ان هناك اسبابا اخرى تجتمع برفقة هذا السبب الذي فهم منه ان الاموال التي كانت بحوزتهم واستولوا عليها هي من الحقوق الشرعية، وهذا الفهم ليس صحيحا ؛ لان هذه الاموال كانت ملكاً للإمام الكاظم نفسه، وقد استثمرها في بعض الاعمال لتدر الارباح لكي يقوّم بها الفقراء من الشيعة ويسد احتياجهم ؛ لان السلطة وقتها كانت طائفية ولم ترع كل من علمت بولائه لأهل البيت (عليهم السلام). فهي ليست حقوقاً شرعية بمعنى الخمس؛ لانهم وقتها لم يكونوا (عليهم السلام) يقبضوا الخمس. وقد بين المرجع اليعقوبي (دام ظله) هذا المعنى بقوله:

(وبحسب بعض القرائن فإن هذه الأموال كانت نتيجة استثمارات حرّك بها الإمام (عليه السلام) أصحابه وليست من الحقوق الشرعية ونحوها، ومن تلك القرائن:

١- إن الروايات دلّت على أن الأئمة (عليهم السلام) إلى زمان الإمام الجواد (عليه السلام) كانوا متوقفين عن قبض الحقوق الشرعية إلا في حدود ضيقة جداً للتقية التي كانوا يعيشونها والمراقبة الشديدة من السلطات وتعرض دورهم باستمرار للمداهمة والتفتيش.

وتشير الروايات إلى أن الإمام الكاظم (عليه السلام) وآل أبي طالب عموماً كانوا في ضيق ففي إحدى استدعاءات هارون للإمام (عليه السلام) واستجوابه عن عدة أمور منها جبي الخراج من الشيعة له، قال (عليه السلام): (وقد علم أمير المؤمنين ضيق ما نحن فيه وكثرة عدونا وما منعنا السلف من الخمس الذي نطق لنا به الكتاب فضاق بنا الأمر وحرمت علينا الصدقة وعوضنا الله عز وجل عنها الخمس واضطررنا إلى قبول الهدية)[١٢].

وفي رواية أخرى إن هارون حمل إلى الإمام الكاظم (عليه السلام) خلعاً وأموالاً، فقال الإمام (عليه السلام): (والله لولا أنّي أرى أن أزوج بها من عزاب بني أبي طالب لئلا ينقطع نسله ما قبلتها أبداً)[١٣].

٢- إن الإمام (عليه السلام) قضى شطراً كبيراً من فترة إمامته في سجون العباسيين قيل إنها بلغت أربع عشرة سنة مما لا يتيح له فرصة اللقاء بالأمة وقبض الحقوق منها.

٣- إن الخبر السابق الذي تحدث عن أموال الإمام (عليه السلام) عند أصحابه سمّاهم (قوّامه) بمعنى أنهم كانوا قائمين على رعاية الأموال وتحريكها بما فيه صلاحها.

والنتيجة أن الأموال الكبيرة التي وضعها الإمام (عليه السلام) عند أصحابه وتقدمت الإشارة إليها لم تكن حصيلة تلك الهدايا والنزر اليسير من الحقوق الشرعية وجعلها أمانات عند أصحابه وإنما كانت نتاج مؤسسة اقتصادية ضخمة بناها الإمام (عليه السلام) من تلك الهدايا والهبات ونمّاها لشيعته ليديروا بها شؤونهم ويستغنوا عن الظلمة ويدفعوا بها شرّهم)١٤..

فحدث الانشقاق في صفوف الكتلة المؤمنة التي تسير برعاية الائمة الاطهار (عليهم السلام)، وتمثل هذا الانشقاق بظهور مجموعة ضالة ومضلة سميت (الواقفة)؛ لانهم توقفوا على امامة موسى بن جعفر (عليهما السلام). ويمكن ان نحتمل ان التسمية جاءت نتيجة وقوفهم بوجه الامام الرضا (عليه السلام) محاولين بذلك اطفاء نور الله سبحانه. وهذا السبب بالتسمية نراه متلائماً مع وصيف الامام الرضا (عليه السلام) لهم وما نعتهم به:

وقال (عليه السلام): (إنه لما قبض رسول الله (ص) جهد الناس في إطفاء نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره بأمير المؤمنين (عليه السلام) فلما توفي أبو الحسن (عليه السلام) جهد علي بن أبي حمزة في إطفاء نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره. وإن أهل الحق إذا دخل فيهم داخل سروا به وإذا خرج منهم خارج لم يجزعوا عليه وذلك انهم على يقين من أمرهم وإن أهل الباطل إذا دخل فيهم داخل سروا به وإذا خرج منهم خارج جزعوا عليه وذلك انهم على شك من أمرهم إن الله جل جلاله يقول: (فمستقر ومستودع) قال: ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام): المستقر الثابت والمستودع المعار).

مناقشة الاسباب التي ادت إلى الانشقاق

لعل السبب الرئيس وما عليه المشهور هو طمع البعض بالاموال التي كانت بحوزتهم ؛ فابتدعوا هذه البدعة وهي ان الامام الكاظم (عليه السلام) لم يمت وانما غاب لمدة من الزمن وسيظهر بعدها وهو الامام المهدي الذي يملؤها قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا.

لكن لو انعمنا النظر لوجدنا اسباباً عدة اسهمت كلها في تبلور هذه الظاهرة المنحرفة، منها:

السبب الاول: هو حب الرئاسة والتسلط على الاخرين بخاصة انهم يعدون انفسهم من الرعيل الاول ومن قادة المجتمع وان الامام الكاظم (عليه السلام) كان يحسن بهم الظن ظاهرا. ولعل نظرة المجتمع وقتها لهم كانت بشيء من الاحترام والتقدير كونهم سائرين على درب الائمة الا انهم فهموا ان هذا الاحترام والتقدير لذواتهم وحسب لا لانهم يحملون صفة اعتبارية محترمة. وهذا هو حال اغلب الناس سواء اكانوا دينيين ام سياسيين ام شخصيات اجتماعية. وبالنتيجة فانهم يتعرضون لصدمة وانتكاسة عندما يختلف تعامل المجتمع معهم بناءً على زوال هذه الصفة الاعتبارية. وبخاصة ان الائمة كانوا يشعرون بأنفس من يحيطون بهم ويحذرون من يستحق التحذير، من هذه الاشارات ما تحدث به الامام الرضا (عليه السلام) مع احمد البزنطي وكان من الواقفة الذين عادوا إلى جادة الصواب عندما احذه الزهو لان الامام اظهر له الاهتمام والتقدير والبسه ثيابه التي ينام فيها قال:

(فخطر ببالي أن ليس في الدنيا من هو أحسن حالا مني ، بعث الامام مركوبه إلي ، وقعد إلي ، ثم أمر لي بهذا الاكرام ! وكان قد اتكأ على يديه لينهض ، فجلس وقال : يا أحمد لا تفخر على أصحابك بذلك ، فان صعصعة بن صوحان مرض فعاده أمير المؤمنين (عليه السلام) وأكرمه ، ووضع يده على جبهته ، وجعل يلاطفه ، فلما أراد النهوض ، قال : يا صعصعة لا تفخر على إخوانك بما فعلت ، فاني إنما فعلت جميع ذلك لأنه كان تكليفا لي)[١٥] .

السبب الثاني: الجهل وعدم التفقه. ان المجتمع الواعي لا يمكن ان تنطلي عليه هذه العقائد الفاسدة والاقاويل الباطلة، لكن اذا ابتعد المجتمع عن قيادته الحقيقية فانه سيكون عرضة للمنتفعين

والمتقمصين والذئاب التي تتحين الفرصة للفتك بقطيع الغنم، او ان مصير الشاة التي تضل عن راعيها لا محالة في بطون الذئاب المتربصة بها دوما. كما عبر عن ذلك الامام الصادق (عليه السلام).

واذا استشرى الجهل بين المجتمع فان المشعوذين والدجالين سيجدون سوقا رائجة لتسويق بضاعتهم، منهم :

(محمد بن بشير وهو من أهل الكوفة من موالي بني أسد ، وله أصحاب قالوا بان موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس وأنه غاب واستتر وهو القائم المهدي، وأنه في وقت غيبته استخلف على الأمة محمد بن بشير ، وجعله وصيه وأعطاه خاتمه وعلمه وجميع ما تحتاج إليه رعيته من أمر دينهم ودنياهم ، وفوض إليه جميع أمره وأقامه مقام نفسه ، فمحمد بن بشير الامام بعده)[١٦] .

من الملاحظ ان محمد بن بشير وامثاله يقدمون خدمات كبيرة للحكومة العباسية من جهتين:

الجهة الاولى: ضرب القيادة الحقيقية وحرف المجتمع عن عقائده الحقة، وخلق قيادة منحرفة بعيدة كل البعد عن الاسلام، دون ان يكون للحكومة الطاغية اي يد ـ ظاهرا ـ في هذا الانحراف الخطير. وبالنتيجة سيشغلون القيادة الدينية الحقيقية بحروب داخلية، وبهذا يظنون انها ستتركهم وشأنهم ويظلون يعيثون في الأرض فسادا. كما قاموا بالطريقة نفسها بدعم عبد الله الافطح ودعمه في قبال القيادة الحقيقية، وكلما تشظت الكتلة الرسالية ضعفت.

الجهة الثانية: تنزيه وتخلية ساحة الحكومة العباسية من قتل الإمام الكاظم (عليه السلام) بادعائهم انه لم يسجن وانما غاب عن الانظار، وبالمحصلة فلا تتوجه اصابع الاتهام الى بني العباس بقتل الإمام الكاظم (عليه السلام).

وقد ورد ما يدعم هذا المعنى بشكل صريح. فعندما شاع امره بين الناس بالشعوذة وبدأت التقارير الامنية تصل الى هارون العباسي ارسل بطلبه فقال له محمد : (يا أمير المؤمنين استبقني فاني أتخذ لك أشياء يرغب الملوك فيها فأطلقه)[١٧] .

لما مات محمد بن بشير أوصى إلى ابنه سميع بن محمد ، فهو الامام ومن أوصى إليه سميع فهو امام مفترض الطاعة على الأمة إلى وقت خروج موسى بن جعفر (عليهما السلام) وظهوره ، فما يلزم الناس من حقوق في أموالهم وغير ذلك مما يتقربون به إلى الله تعالى ، فالفرض عليه أداؤه إلى أوصياء محمد بن بشير إلى قيام القائم . وزعموا أن علي بن موسى (عليهما السلام) وكل من ادعى الإمامة من ولده وولد موسى (عليه السلام) مبطلون كاذبون غير طيبي الولادة ، فنفوهم عن أنسابهم وكفروهم لدعواهم الإمامة ، وكفروا القائلين بإمامتهم واستحلوا دماءهم وأموالهم [١٨].

وكان سبب قتل محمد بن بشير (لعنه الله) أنه كان معه شعبذة ومخاريق فكان يظهر الواقفة أنه ممن وقف على علي بن موسى (عليهما السلام) ، وكان يقول في موسى بالربوبية ، ويدعي لنفسه أنه نبي [١٩].

وأورد الكشي روايات كثيرة تدل على ذمه ، منها : أنه قال (الرضا عليه السلام) : كان كذب على أبي الحسن موسى (عليه السلام) فأذاقه الله حر الحديد[٢٠].

السبب الثالث: الفهم الخاطئ وعدم مواكبة القيادة الحقيقية، ان عدم مواكبة القيادة الحقيقية واعني بذلك متابعة ومجاراة كل ما يصدر عنها من قول وفعل، سيجعل الامة عرضة للانحراف. ولا يمكن الاعتماد فقط على المنقولات، فالقيادة بين ظهرانيهم فما الذي يمنعهم من التواصل معها؟ فالتأخر عنهم والتقدم لهم كلاهما مذمومان، كما عبر الإمام السجاد (عليه السلام) حين قال: (المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق)[٢١].

على الرغم من وجود النص الصادر عن الإمام الكاظم (عليه السلام) ان الذي سيكون الحجة بعده هو الإمام الرضا (عليه السلام) كما مر علينا، الا انهم تمسكوا ببعض ما ورد من روايات منقوصة او لم تفهم بالشكل الصحيح، مثال ذلك :

روى ابو عمر الكشي عن ابن الحسن الواسطي ، ومحمد بن يونس ، قالا : (حدثنا الحسن بن قياما الصيرفي قال : سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) فقلت : جعلت فداك ما فعل أبوك ؟ قال : مضى كما مضى آباؤه (عليهم السلام) . قلت : فكيف أصنع بحديث حدثني به زرعة بن محمد الحضرمي ، عن سماعة بن مهران ، ان أبا عبد الله (عليه السلام) قال : إن ابني هذا فيه شبه من خمسة أنبياء يحسد كما حسد يوسف (عليه السلام) ويغيب كما غاب يونس وذكر ثلاثة أخر . قال : كذب زرعة ليس هكذا حديث سماعة ، انما قال : صاحب هذا الامر يعني القائم عليه السلام فيه شبه من خمسة أنبياء ، ولم يقل ابني) [٢٢].

فلاحظ ان (زرعة بن محمد الحضرمي ، واقفي المذهب)[٢٣]. اما الحسن (الحسين) بن قياما (فكان من رؤساء الواقفة . بل يظهر من جملة منها انه كان يعاند في الوقف . وقد دعا عليه أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) مرتين : حينما كان الحسين بن قياما واقفا في الطواف ، فنظر إليه أبو الحسن الأول (ع) ، فقال : مالك ؟ حيرك الله تعالى . كما في رواية العيون . وحينما أراد دخول مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) كما فيما رواه الكليني في روضة الكافي)[٢٤].

وعن محمد بن الحسن الواسطي ، ومحمد بن يونس ، قالا : (حدثنا الحسن بن قياما الصيرفي ، قال : حججت في سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وسألت أبا الحسن الرضا عليه السلام فقلت : جعلت فداك

ما فعل أبوك ؟ قال : مضى كما مضى آباؤه ، قلت : فكيف أصنع بحديث حدثني به يعقوب بن شعيب ، عن أبي بصير : ان أبا عبد الله (عليه السلام) قال : إن جاء كم من يخبركم ان ابني هذا مات وكفن ولبن وقبر ونفضوا أيديهم من تراب قبره فلا تصدقوا به ؟ فقال : كذب أبو بصير ليس هكذا حدثه ، انما قال إن جاءكم عن صاحب هذا الامر) [٢٥].

على الرغم من انكار الإمام الرضا (عليه السلام) لهذا الفهم وتصحيحه الا انهم لم يفهموا، ولو كانوا من الناس اللازمين لقيادتهم لتمكنوا من معرفة الحق.

قد يتبادر الى الذهن سؤال، مفاده: الم يكونوا يعلمون بوجود الروايات التي نصت على وجود او مجيء اثني عشر اماماً؟

قلنا : يحتمل هنا اكثر من جواب:

الجواب الاول: انهم وان كانوا يعلمون بها (الروايات) الا ان الخدعة انطلت عليهم لوجود المؤثرات، كثقتهم بمن نقل لهم هذه الاخبار، مع الاخذ بنظر الاعتبار ابتعادهم عن المصدر الرئيس. ويمكن الاستدلال على هذا القول بما نعيشه اليوم، فقد مرت احداث مؤسفة بالشعب العراقي في الآونة الاخيرة وهي ظهور بعض من ادعى المهدوية، وصدقه عدد من الناس معتد به، على الرغم من ان هناك مئات الروايات التي يمكن من خلالها كشف زيف هذا المدعي، وبالرغم من ان هذا المدعي قتل وعدداً ليس قليلاً معه الا ان البعض اول مقتله وقال بانه شبه لهم والحقيقة انه لم يقتل، وقد عاد بعضهم للاعتقاد بمهدويته.

والامام الرضا (عليه السلام) احتج على الواقفة بطريقة مشابهة عندما كانوا يروجون لبعض الاخبار المستقبلية .

روى أحمد بن محمد بن عيسى ، عن سعد بن سعد ، عن أحمد بن عمر قال : (سمعت الرضا ـ عليه السلام ـ يقول في ابن أبي حمزة : أليس هو الذي يروي أن رأس المهدي [٢٦] يهدى إلى عيسى بن موسى ، وهو صاحب السفياني . وقال : إن أبا إبراهيم (عليه السلام) يعود إلى ثمانية أشهر ، فما استبان لهم كذبه) [٢٧].

اراد الرضا (عليه السلام) توضيح كذبهم للآخرين، وهو من اوضح الادلة والبراهين على كذبهم، الا انهم استمروا في انحرافهم.

الجواب الثاني: انهم لم يكونوا يعلموا بهذه الروايات التي تنص على الاثني عشر اماما.

ـ اما لكونها من الروايات الخاصة التي لم يسمع بها كل من كان يدين بمذهب الامامية.

ـ او ان الروايات التي وردت عن ذكر الاثني عشر اماماً ذكرت العدد فقط ولم تذكر الاسماء، وهذا ما اتفق عليه كلا المذهبين الشيعة والسنة.

ـ او انها لم تظهر الا في زمن الائمة المتأخرين، اي انها وردتهم عن رسول الله (صلى الله عليه واله) لكنها انتقلت من امام لآخر فقط، لوجود الخطر الذي يهدد وجود الائمة اذا كانت بشكل واضح، وبعد ان زال الخطر بدأت تظهر هذه الروايات.

وهناك ما يؤيد هذا الكلام من خلال الاطلاع على سيرة المعصومين (عليهم السلام) نجد ان هناك منعطفات مر بها اتباع اهل البيت من جهة، والظالمون من جهة الاخرى.

اما بالنسبة الى اتباع اهل البيت (عليهم السلام) فقد عاشوا مراحل عسيرة جدا لعدم وضوح النص على الحجة الذي يلي الإمام المقتول، كما في حادثة استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام) ووصيته التي ضلل بها الاعداء للحفاظ على الإمام الكاظم (عليه السلام) لان الحاكم العباسي وهو المنصور كان مصرا على قتل من يوصى له بالقيادة. فكان خلص اصحاب الصادق (عليه السلام) امثال، هشام بن سالم وزرارة بن اعين ومحمد بن النعمان الاحول لم يتمكنوا من الوصول الى لإمام الحقيقي في بادئ الامر وذهبوا ليختبروا عبد الله الافطح ظنا منهم انه الحجة بعد ابيه، لولا ان ادركتهم الرحمة الإلهية وتمثلت بشخص لم يعرفوه دلهم على الإمام الكاظم (عليه السلام). فما بالك بعامة الناس؟ فأين النصوص التي تذكر الائمة بالأسماء والعدد! اذا امثال هذه الاسماء التي هي كالنجوم في حياة الامامية ليس لديهم علم بها.

اضف الى ذلك ان من ادوار المعصومين (عليهم السلام) الرئيسة هي النص على الإمام اللاحق وتهيئة البديل وتوفير جميع الظروف التي من شأنها ان تسهم في استمرار الرسالة الاسلامية النقية. ولو كانت هناك روايات مشهورة ومعروفة للآخرين لما تجشموا عناء تهيئة الظروف للحجة اللاحق واكتفوا بشهرة تلك الروايات.

والجهة الثانية، وهم الحكام الظالمون الذين يبحثون عن القيادة الحقيقية اكثر مما يبحث طلاب النجاة عن قيادتهم، فهل تمكنوا من الوصول اليهم وقتلهم قبل ا ن يأتي اليوم الذي سيكون فيه قائدا ويصبح قتله صعبا جدا؟ وعليه اذا اقبل على ارتكاب هذه الجريمة فانه سيدفع ثمنا باهضا. اضف الى ذلك ان ليس من الحكمة ان تكون اسماء قادة الحق مكشوفة للقاصي والداني، فأعداء الحق كثر.

هذه هي اهم الاسباب التي ادت الى نشوء التيار المعارض للإمام الرضا (عليه السلام) والذي يدعى بالواقفة، وهو بطبيعة الحال انشقاق داخلي في مذهب الشيعة الامامية نفسه. واخذ التصدي لهذه الفتنة الوقت والجهد الكبيرين من الإمام (عليه السلام).

الامام يتصدى بحزم لمثيري الفتن .

لم يقف الامام الرضا (عليه السلام) مكتوف الايدي امام هذه المحاولات الرامية للقضاء على الدين والشريعة الاسلامية المتمثلة بالمنهج الذي يجسده الائمة المعصومون (عليهم السلام). ولان هذه الفتنة خطيرة وبالإمكان ان تنتشر كانتشار النار في الهشيم، وجب على الامام التصدي لها وبحزم. فقد ورد عنهم (عليهم السلام) : عن يونس بن عبد الرحمن – في حديث – قال : روينا عن الصادقين (عليهم السلام) انهم قالوا : إذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه ، فإن لم يفعل سلب نور الايمان.

وسنعلم حجم خطر هذه البدعة من خلال طريقة تصدي الإمام (عليه السلام) لها، حتى وصل الحال ببعض شيعته من جهة خوفا عليه، واعدائه من جهة اخرى احتجوا عليه بانه اظهر شيئا لم يظهره اباؤه. فقال موالوه:

ورد عن (الحسين بن أحمد بن هلال ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان قال : قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) في أيام هارون : إنك قد شهرت نفسك بهذا الامر ، وجلست مجلس أبيك وسيف هارون يقطر بالدم ؟ قال : جرأني على هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن أخذ أبو جهل من رأسي شعره فاشهدوا أني لست بنبي وأنا أقول لكم : إن أخذ هارون من رأسي شعرة فاشهدوا أني لست بإمام).[٢٨]

وعن (صفوان بن يحيى قال : لما مضى أبو الحسن موسى (عليه السلام) وتكلم الرضا خفنا عليه من ذلك ، وقلنا له : إنك قد أظهرت أمرا عظيما وإنا نخاف عليك من هذا الطاغي ، فقال (عليه السلام) : يجهد جهده فلا سبيل له علي) .[٢٩]

واعترض عليه الواقفة وانكروا طريقته في الدفاع عن حقه بقيادة الامة ومحاربة البدع بقولهم:

ورد : (عن الأسدي ، عن جرير بن حازم ، عن أبي مسروق قال : دخل على الرضا (عليه السلام) جماعة من الواقفة فيهم علي بن أبي حمزة البطائني ومحمد بن إسحاق بن عمار والحسين بن عمران والحسين بن أبي سعيد المكاري ، فقال له علي بن أبي حمزة : جعلت فداك أخبرنا عن أبيك (عليه السلام) ما حاله ؟ فقال : قد مضى (عليه السلام) ، فقال له : فإلى من عهد ؟ فقال : إلي فقال له : إنك لتقول قولا ما قاله أحد من آبائك علي بن أبي طالب فمن دونه ، قال : لكن قد قاله خير آبائي وأفضلهم : رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال له : أما تخاف هؤلاء على نفسك ؟ فقال : لو خفت عليها لكنت عليها معينا إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتاه أبو لهب فتهدده فقال له رسول الله (صلى الله عليه

وآله) : إن خدشت من قبلك خدشة فأنا كذاب ، فكانت أول آية نزع بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي أول آية أنزع بها لكم ، إن خدشت خدشا من قبل هارون فأنا كذاب).[٣٠]

نرى انهم يقولون للإمام (عليه السلام) انك اظهرت ما لم يظهره اباؤك. وقد فهموا من عدم ادعاء الائمة للإمامة بشكل علني بسبب الظروف المحيطة بهم انها هي القاعدة ولا يجوز للإمام ان يدافع عن حقه بقيادة الامة. وهذا الفهم لم يقتصر على اولئك بل الى يومنا هذا عندما يشير القائد المرجع الجامع للشرائط لاعلميته واحقيته بقيادته للامة، فان الجواب يأتي باننا لم نسمع بهذا من قبل! وان كان في ذلك فسح المجال للمتقمصين والكذابين.

طريقتان للتصدي لفتنة الانشقاق

الطريقة الاولى: اظهار اعلميته وجدارته في قيادة الامة على المستوى العام.

الإمام الرضا (عليه السلام) في البصرة

البصرة والكوفة من اكثر الامصار تفاعلا مع الاحداث التي تجري سواء اكانت سياسية ام ثقافية ام عقائدية ام علمية ام غيرها، وهذان المصران من اكثر الامصار تأثيرا في الأمصار الاخرى، ومنهما تنطلق معظم الثقافات المؤثرة بالآخرين. اضف الى هذا ان الإمام (عليه السلام) يريد ان يحافظ عليهما من عبث العابثين ويغلق كل الابواب على من حاول ويحاول ان يضرب القاعدة الرئيسة والطليعة لمذهب اهل البيت (عليهم السلام) لذا نراه (عليه السلام) ركز عليهما.

روي عن محمد بن الفضل الهاشمي قال : لما توفي موسى بن جعفر (عليهما السلام) أتيت المدينة فدخلت على الرضا (عليه السلام) فسلمت عليه بالأمر وأوصلت إليه ما كان معي ، وقلت : إني سائر إلى البصرة ، وعرفت كثرة خلاف الناس وقد نعي إليهم موسى (عليه السلام) وما أشك أنهم سيسألوني عن براهين الامام ، ولو أريتني شيئا من ذلك فقال الرضا (عليه السلام) لم يخف علي هذا فأبلغ أولياءنا بالبصرة وغيرها أني قادم عليهم ولا قوة إلا بالله، ثم أخرج إلي جميع ما كان للنبي عند الأئمة من بردته وقضيبه وسلاحه وغير ذلك ، فقلت : ومتى تقدم عليهم ؟ قال : بعد ثلاثة أيام من وصولك ودخولك البصرة ، فلما قدمتها سألوني عن الحال فقلت لهم : إني أتيت موسى بن جعفر قبل وفاته بيوم واحد فقال إني ميت لا محالة فإذا واريتني في لحدي فلا تقيمن وتوجه إلى المدينة بودائعي هذه ، وأوصلها إلى ابني علي بن موسى فهو وصيي وصاحب الامر بعدي ، ففعلت ما أمرني به وأوصلت الودائع إليه وهو يوافيكم إلى ثلاثة أيام من يومي هذا فاسألوه عما شئتم .

فابتدر الكلام عمرو بن هداب عن القوم وكان ناصبيا ينحو نحو التزيد والاعتزال ، فقال : يا محمد إن الحسن بن محمد رجل من أفاضل أهل هذا البيت في ورعه وزهده وعلمه وسنه ، وليس هو

كشاب مثل علي بن موسى ولعله لو سئل عن شيء من معضلات الاحكام لحار في ذلك ، فقال الحسن بن محمد وكان حاضرا في المجلس : لا تقل يا عمرو ذلك فان عليا على ما وصف من الفضل ، وهذا محمد بن الفضل يقول : إنه يقدم إلى ثلاثة أيام فكفاك به دليلا ، وتفرقوا . فلما كان اليوم الثالث من دخولي البصرة إذا بالرضا (عليه السلام) قد وافى فقصد منزل الحسن بن محمد داخلا عليه داره ، وقام بين يديه ، يتصرف بين أمره ونهيه فقال : يا (حسن بن) محمد أحضر جميع القوم الذين حضروا عند محمد بن الفضل وغيرهم من شيعتنا وأحضر جاثليق النصارى ورأس الجالوت ، ومر القوم يسألوا عما بدا لهم فجمعهم كلهم والزيدية والمعتزلة ، وهم لا يعلمون لما يدعوهم الحسن بن محمد فلما تكاملوا ثني للرضا (عليه السلام) وسادة فجلس عليها ثم قال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، هل تدرون لم بدأتكم بالسلام ؟ قالوا : لا ، قال : لتطمئن أنفسكم ، قالوا : من أنت يرحمك الله قال : أنا علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب وابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) صليت اليوم صلاة الفجر في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع والي المدينة ، وأقرأني بعد أن صلينا كتاب صاحبه إليه واستشارني في كثير من أموره فأشرت عليه بما فيه الحظ له ووعدته أن يصير إلي بالعشي بعد العصر من هذا اليوم ، ليكتب عندي جواب كتاب صاحبه ، وأنا واف له بما وعدته ولا حول ولا قوة إلا بالله . فقالت الجماعة : يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما نريد مع هذا الدليل برهانا وأنت عندنا الصادق القول ، وقاموا لينصرفوا فقال لهم الرضا (عليه السلام) لا تتفرقوا فإني إنما جمعتكم لتسألوا عما شئتم من آثار النبوة وعلامات الإمامة التي لا تجدونها إلا عندنا أهل البيت فهلموا مسائلكم . فابتدأ عمرو بن هداب فقال : إن محمد بن الفضل الهاشمي ذكر عنك أشياء لا تقبلها القلوب ، فقال الرضا (عليه السلام) : وما تلك ؟ قال : أخبرنا عنك أنك تعرف كل ما أنزله الله وأنك تعرف كل لسان ولغة ، فقال الرضا عليه السلام : صدق محمد بن الفضل فأنا أخبرته بذلك فهلموا فاسألوا قال : فانا نختبرك قبل كل شيء بالألسن واللغات وهذا رومي وهذا هندي وفارسي وتركي فأحضرناهم فقال (عليه السلام) فليتكلموا بما أحبوا أجب كل واحد منهم بلسانه إن شاء الله . فسأل كل واحد منهم مسألة بلسانه ولغته ، فأجابهم عما سألوا بألسنتهم ولغاتهم فتحير الناس وتعجبوا وأقروا جميعا بأنه أفصح منهم بلغاتهم . ثم نظر الرضا (عليه السلام) إلى ابن هداب فقال : إن أنا أخبرتك أنك ستبتلى في هذه الأيام بدم ذي رحم لك كنت مصدقا لي ؟ قال : لا ، فان الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى ، قال (عليه السلام) : أو ليس الله يقول : " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول " فرسول الله عند الله مرتضى ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما شاء من غيبه ، فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وإن الذي أخبرتك به يا ابن هداب لكائن إلى خمسة أيام فإن لم يصح ما قلت في هذه المدة

فاني كذاب مفتر ، وإن صح فتعلم أنك الراد على الله ورسوله ، وذلك دلالة أخرى ، أما إنك ستصاب ببصرك وتصير مكفوفا فلا تبصر سهلا ولا جبلا ، وهذا كائن بعد أيام ، ولك عندي دلالة أخرى إنك ستحلف يمينا كاذبة فتضرب بالبرص . قال محمد بن الفضل : تالله لقد نزل ذلك كله بابن هداب ، فقيل له : صدق الرضا أم كذب ؟ قال : والله لقد علمت في الوقت الذي أخبرني به أنه كائن ولكنني كنت أتجلد . ثم إن الرضا التفت إلى الجاثليق فقال : هل دل الإنجيل على نبوة محمد صلى الله عليه وآله ؟ قال : لو دل الإنجيل على ذلك ما جحدناه ، فقال عليه السلام : أخبرني عن السكتة التي لكم في السفر الثالث فقال الجاثليق اسم من أسماء الله تعالى لا يجوز لنا أن نظهره قال الرضا عليه السلام : فان قررتك أنه اسم محمد وذكره وأقر عيسى به وأنه بشر بني إسرائيل بمحمد لتقر به ولا تنكره ؟ قال الجاثليق : إن فعلت أقررت فاني لا أرد الإنجيل ولا أجحد ، قال الرضا عليه السلام فخذ علي السفر الثالث الذي فيه ذكر محمد وبشارة عيسى بمحمد ، قال الجاثليق : هات ! فأقبل الرضا (عليه السلام) يتلو ذلك السفر من الإنجيل حتى بلغ ذكر محمد فقال : يا جاثليق من هذا الموصوف ؟ قال الجاثليق صفه قال : لا أصفه إلا بما وصفه الله ، هو صاحب الناقة والعصا والكساء النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم يهدي إلى الطريق الأقصر ، والمنهاج الأعدل ، والصراط الأقوم . سألتك يا جاثليق : بحق عيسى روح الله وكلمته ، هل تجدون هذه الصفة في الإنجيل لهذا النبي ؟ فأطرق الجاثليق مليا وعلم أنه إن جحد الإنجيل كفر فقال : نعم هذه الصفة من الإنجيل ، وقد ذكر عيسى في الإنجيل هذا النبي ولم يصح عند النصارى أنه صاحبكم فقال الرضا (عليه السلام) : أما إذا لم تكفر بجحود الإنجيل وأقررت بما فيه من صفة محمد ، فخذ علي في السفر الثاني فاني أوجدك ذكره وذكر وصيه وذكر ابنته فاطمة ، وذكر الحسن والحسين . فلما سمع الجاثليق ورأس الجالوت ذلك علما أن الرضا (عليه السلام) عالم بالتوراة والإنجيل فقالا : والله قد أتى بما لا يمكننا رده ولا دفعه إلا بجحود التوراة والإنجيل والزبور ، ولقد بشر به موسى وعيسى جميعا ولكن لم يتقرر عندنا بالصحة أنه محمد هذا ، فأما اسمه فمحمد فلا يجوز لنا أن نقر لكم بنبوته ، ونحن شاكون أنه محمدكم أو غيره ، فقال الرضا (عليه السلام) : احتججتم بالشك فهل بعث الله قبل أو بعد من ولد آدم إلى يومنا هذا نبيا اسمه محمد ؟ أو تجدونه في شئ من الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء غير محمد ؟ فأحجموا عن جوابه ، وقالوا : لا يجوز لنا أن نقر لك بأن محمدا هو محمدكم لأنا إن أقررنا لك بمحمد ووصيه وابنته وابنيها على ما ذكرتم أدخلتمونا في الاسلام كرها . فقال الرضا (عليه السلام) أنت يا جاثليق آمن في ذمة الله وذمة رسوله أنه لا يبدؤك منا شئ تكره مما تخافه وتحذره ، قال : أما إذ قد آمنتني فان هذا النبي

الذي اسمه محمد وهذا الوصي الذي اسمه علي وهذه البنت التي اسمها فاطمة ، وهذان السبطان اللذان اسمهما الحسن والحسين في التوراة والإنجيل والزبور (قال الرضا (عليه السلام) : فهذا الذي ذكرته في التوراة والإنجيل والزبور) من اسم هذا النبي وهذا الوصي وهذه البنت وهذين السبطين ، صدق وعدل أم كذب وزور ؟ قال : بل صدق وعدل ، ما قال إلا الحق . فلما أخذ الرضا عليه السلام إقرار الجاثليق بذلك قال لرأس الجالوت : فاسمع الآن يا رأس الجالوت السفر الفلاني من زبور داود ، قال : هات بارك الله عليك وعلى من ولدك ، فتلا الرضا (عليه السلام) السفر الأول من الزبور حتى انتهى إلى ذكر محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فقال : سألتك يا رأس الجالوت بحق الله هذا في زبور داود ؟ ولك من الأمان والذمة والعهد ما قد أعطيته الجاثليق ، فقال رأس الجالوت : نعم هذا بعينه في الزبور بأسمائهم قال الرضا (عليه السلام) : بحق عشر الآيات التي أنزلها الله على موسى بن عمران في التوراة هل تجد صفة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين في التوراة منسوبين إلى العدل والفضل ؟ قال : نعم ، ومن جحدها كافر بربه وأنبيائه . قال له الرضا (عليه السلام) : فخذ الآن في سفر كذا من التوراة فأقبل الرضا (عليه السلام) يتلو التوراة ورأس الجالوت يتعجب من تلاوته وبيانه ، وفصاحته ولسانه حتى إذا بلغ ذكر محمد قال رأس الجالوت : نعم ، هذا أحماد وأليا وبنت أحماد وشبر وشبير تفسيره بالعربية محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، فتلا الرضا (عليه السلام) إلى تمامه . فقال رأس الجالوت لما فرغ من تلاوته : والله يا ابن محمد لولا الرئاسة التي حصلت لي على جميع اليهود لآمنت بأحمد واتبعت أمرك فوالله الذي أنزل التوراة على موسى والزبور على داود ما رأيت أقرأ للتوراة والإنجيل والزبور منك ، ولا رأيت أحسن تفسيرا وفصاحة لهذه الكتب منك[٣١] .

الإمام في الكوفة

قال محمد بن الفضل : كان فيما أوصاني به الرضا (عليه السلام) في وقت منصرفه من البصرة أن قال لي : صر إلى الكوفة فاجمع الشيعة هناك وأعلمهم أني قادم عليهم وأمرني أن أنزل في دار حفص بن عمير اليشكري فصرت إلى الكوفة فأعلمت الشيعة أن الرضا (عليه السلام) قادم عليكم فأنا يوما عند نصر بن مزاحم إذ مر بي سلام خادم الرضا فعلمت أن الرضا عليه السلام قد قدم ، فبادرت إلى دار حفص بن عمير فإذا هو في الدار فسلمت عليه ثم قال لي : احتشد من طعام تصلحه للشيعة ، فقلت : قد احتشدت وفرغت مما يحتاج إليه ، فقال : الحمد لله على توفيقك . فجمعنا الشيعة ، فلما أكلوا قال : يا محمد انظر من بالكوفة من المتكلمين والعلماء فأحضرهم فأحضرناهم ، فقال لهم الرضا عليه السلام : إني أريد أن أجعل لكم حظا من نفسي كما جعلت لأهل البصرة ، وأن الله قد أعلمني كل كتاب أنزله ثم أقبل على جاثليق ، وكان معروفا بالجدل والعلم والإنجيل فقال : يا جاثليق هل تعرف لعيسى

صحيفة فيها خمسة أسماء يعلقها في عنقه ، إذا كان بالمغرب فأراد المشرق فتحها فأقسم على الله باسم واحد من خمسة الأسماء أن تنطوي له الأرض فيصير من المغرب إلى المشرق ، ومن المشرق إلى المغرب في لحظة ؟ فقال الجاثليق : لا علم لي بها وأما الأسماء الخمسة فقد كانت معه يسأل الله بها أو بواحد منها يعطيه الله جميع ما يسأله قال : الله أكبر إذا لم تتكر الأسماء فأما الصحيفة فلا يضر أقررت بها أم أنكرتها اشهدوا على قوله . ثم قال : يا معاشر الناس أليس أنصف الناس من حاج خصمه بملته وبكتابه وبنبيه وشريعته ؟ قالوا : نعم ، قال الرضا (عليه السلام) : فاعلموا أنه ليس بإمام بعد محمد إلا من قام بما قام به محمد حين يفضي الامر إليه ، ولا يصلح للإمامة إلا من حاج الأمم بالبراهين للإمامة ، فقال رأس الجالوت : وما هذا الدليل على الامام ؟ قال : أن يكون عالما بالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن الحكيم ، فيحاج أهل التوراة بتوراتهم وأهل الإنجيل بإنجيلهم ، وأهل القرآن بقرآنهم ، وأن يكون عالما بجميع اللغات حتى لا يخفى عليه لسان واحد ، فيحاج كل قوم بلغتهم ، ثم يكون مع هذه الخصال تقيا نقيا من كل دنس طاهرا من كل عيب ، عادلا منصفا حكيما رؤوفا رحيما غفورا عطوفا صادقا مشفقا بارا أمينا مأمونا راتقا فاتقا . فقام إليه نصر بن مزاحم فقال : يا بن رسول الله ما تقول في جعفر بن محمد ؟ قال : ما أقول في إمام شهدت أمة محمد قاطبة بأنه كان أعلم أهل زمانه ، قال : فما تقول في موسى بن جعفر ؟ قال : كان مثله ، قال : فان الناس قد تحيروا في أمره قال : إن موسى بن جعفر عمر برهة من الزمان فكان يكلم الأنباط بلسانهم ، ويكلم أهل خراسان بالدرية وأهل روم بالرومية ، ويكلم العجم بألسنتهم ، وكان يرد عليه من الآفاق علماء اليهود والنصارى ، فيحاجهم بكتبهم وألسنتهم . فلما نفدت مدته ، وكان وقت وفاته أتاني مولى برسالته يقول : يا بني إن الاجل قد نفد ، والمدة قد انقضت ، وأنت وصي أبيك فان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما كان وقت وفاته دعا عليا وأوصاه ودفع إليه الصحيفة التي كان فيها الأسماء التي خص الله بها الأنبياء والأوصياء ، ثم قال : يا علي ادن مني ، فغطى رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأس علي (عليه السلام) بملاءة ثم قال له : أخرج لسانك ، فأخرجه فختمه بخاتمه ثم قال : يا علي اجعل لساني في فيك ، فمصه وأبلغ عني كل ما تجد في فيك ، ففعل علي ذلك فقال له : إن الله قد فهمك ما فهمني ، وبصرك ما بصرني ، وأعطاك من العلم ما أعطاني ، إلا النبوة ، فإنه لا نبي بعدي ثم كذلك إمام بعد إمام ، فلما مضى موسى علمت كل لسان وكل كتاب)[٣٢].

الفات نظر لفائدتين

الفائدة الاولى: يتضح من الروايات التي مرت علينا سواءً كان في البصرة ام في الكوفة، ان الإمام (عليه السلام) كان مشخصا وبشكل دقيق وجود مؤامرة دولية كبيرة للاجهاز على الاسلام بشكل كامل؛ لانهم اعتقدوا ان الرسالة ماتت بموت الإمام الكاظم (عليه السلام). وهذا يشبه الى حد كبير ما وقع

بعد استشهاد الرسول محمد (صلى الله عليه واله) وانقلاب الامة على اعقابها كما اشار اليه القران الكريم بقوله: **(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ)**[٣٣] .

فبدأت موجات التشكيك من الدولة البيزنطية و اليهود والنصارى بشكل كبير يشككون في صحة هذا الدين؛ لانهم شخصوا ضعف القيادة الاسلامية المتقمصة، وقد ابعدت القيادة الحقيقية التي نصبها الله تعالى لخلافة الرسول الخاتم (صلى الله عليه واله). الا ان امير المؤمنين علياً (عليه السلام) كان لهم دوما بالمرصاد يدفع اباطيلهم بالحجج الدامغة والعلم الذي ورثه من رسول الله (صلى الله عليه واله) على الرغم من اقصائه وبشكل يندى له جبين التاريخ.

فالامام الرضا (عليه السلام) كان قد ارسل بطلب ممثلي كل الاديان والمذاهب الاسلامية الاخرى ليثبت لهم ان هذا الدين وقيادته الحقيقية متمثلة باهل البيت (عليهم السلام) هو الاحق بالاتباع وان ما عداه لا يعدو كونها اديانا مرحلية انتهت بظهور الاسلام، واما المذاهب الاسلامية الاخرى فقد اظهرت عجزها التام امام الحجج والبراهين الدامغة التي ساقها لدفع حجج تلك الاديان، وبذلك يثبت بطلان مذاهبهم.

الفائدة الثانية: يتضح مما تقدم ان الإمام على الرغم من انه كان شابا على تعبير احدهم الا انه كان يحمل من العلوم والمعارف والاخلاق ما يجعله يفحم الجميع. فليس العبرة في العالم او الحجة ان يكون شيخا كبيرا ولحيته بيضاء، بل ان العبرة في الاخلاق و العلم الذي يحمله لينفع به الاخرين. وعليه نفهم ان الإمام (عليه السلام) لم يحتج عليهم بالنص على امامته، على عظم النص عليه، الا ان هذا النص كان كاشفا للمجتمع عن فضله واحقيته بالقيادة، وليس هو العلة لبلوغه هذه المرتبة العظيمة، انما ما يحمل من ملكات نفسانية وقدرات هي التي جعلت النص ينجذب اليه ويخر تحت ارجله.

الطريقة الثانية: نفي قول المبطلين واثبات امامته على المستوى الخاص

بعد ان اثبت الإمام احقيته لقيادة الامة عموما، وقتل امال من كان يظن ان القيادة الدينية الحقة اجهز عليها، واعنى بهم الاديان الاخرى والمذاهب الاسلامية، ويئسوا بعد ان اصطدموا بالحصن الذي يحمي الامة من هجماتهم الرامية للقضاء على اهل الحق، بات من الضروري ان يتصدى للجبهة الداخلية كي يبطل اقاويلهم ويثبت لهم ولغيرهم امامته للناس.

وعن إسماعيل بن سهل قال : حدثنا بعض أصحابنا وسألني أن أكتم اسمه قال : كنت عند الرضا عليه السلام فدخل عليه علي بن أبي حمزة [٣٤]وابن السراج [٣٥] وابن المكاري[٣٦] فقال له ابن أبي حمزة : ما فعل أبوك ؟ قال : مضى قال : مضى موتا قال فقال : نعم ، قال : فقال : إلى من عهد ؟

قال : إلي قال : فأنت إمام مفترض الطاعة من الله ؟ قال : نعم . قال ابن السراج وابن المكاري : قد والله أمكنك من نفسه ، قال عليه السلام : ويلك وبمَ أمكنت؟ أتريد أن آتي بغداد وأقول لهارون : إني إمام مفترض طاعتي والله ما ذاك علي ، وإنما قلت ذلك لكم عندما بلغني من اختلاف كلمتكم وتشتت أمركم لئلا يصير سركم في يد عدوكم . قال له ابن أبي حمزة : لقد أظهرت شيئا ما كان يظهره أحد من آبائك ولا يتكلم به ، قال : بلى والله لقد تكلم به خير آبائي رسول الله صلى الله عليه وآله لما أمره الله أن ينذر عشيرته الأقربين جمع من أهل بيته أربعين رجلا وقال لهم : إني رسول الله إليكم فكان أشدهم تكذيبا وتأليبا عليه عمه أبو لهب ، فقال لهم النبي (صلى الله عليه وآله) إن خدشني خدشاً فلست بنبي ، فهذا أول ما أبدع لكم من آية النبوة ، وأنا أقول : إن خدشني هارون خدشا فلست بامام ، فهذا أول ما أبدع لكم من آية الإمامة . قال له علي : إنا روينا عن آبائك عليهم السلام أن الامام لا يلي أمره إلا إمام مثله فقال له أبو الحسن : فأخبرني عن الحسين بن علي (عليه السلام) كان إماما أو كان غير إمام ؟ قال : كان إماما ، قال : فمن ولي أمره ؟ قال علي بن الحسين ، قال : وأين كان علي ابن الحسين ؟ كان محبوسا في يد عبيد الله بن زياد ! قال : خرج وهم كانوا لا يعلمون حتى ولي أمر أبيه ثم انصرف . فقال له أبو الحسن (عليه السلام) : إن هذا أمكن علي بن الحسين (عليه السلام) أن يأتي كربلا فيلي أمر أبيه فهو يمكن صاحب الامر أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه ثم ينصرف وليس في حبس ولا في أسار قال له علي : إنا روينا أن الامام لا يمضي حتى يرى عقبه قال : فقال أبو الحسن (عليه السلام) : أما رويتم في هذا غير هذا الحديث ؟ قال : لا ، قال : بلى والله لقد رويتم فيه إلا القائم وأنتم لا تدرون ما معناه ولم قيل ، قال فقال له علي : بلى والله إن هذا لفي الحديث ، قال له أبو الحسن (عليه السلام) ويلك كيف اجترأت على شئ تدع بعضه ثم قال : يا شيخ اتق الله ولا تكن من الذين يصدون عن دين الله تعالى[٣٧].

نلاحظ في هذه الرواية عدة امور:

الامر الاول: ان الإمام الرضا (عليه السلام) اول من اظهر حقه بقيادة الامة بالشكل العلني وتحدى كل من ادعى خلاف ذلك. وهذا الامر لم يكن يفعله الائمة السابقون (عليهم السلام) ، والسبب في ذلك وجود شبهة كادت تقضي على وجود الكتلة الرسالية كما مر علينا سابقا.

الامر الثاني : ان الإمام (عليه السلام) وان صرح بالإمامة الا انه يعمل بكل ما يمكنه للحفاظ على نفسه، فمن الواجب على القائد ان يحافظ على نفسه من بطش الظلمة ،اذا لم يؤد الدور المناط به بعد في تقديم البشرية بعض الخطوات المخطط لها من الباري عز وجل. فالقائد السابق بعد ان يؤدي الدور المناط به، ويطمئن على وجود البديل من اتخاذ كل الاجراءات اللازمة فانه سيجعل دمه الشريف نبراسا لمن يليه، كما فعل الإمام الحسين (عليه السلام) عندما توقف بقاء الدين على التضحية بنفسه فانه

لم يبخل به. الا ان الإمام السجاد (عليه السلام) لم يفعل كما فعل ابوه في نهاية حياته، بل اتخذ اسلوبا اخر كي يحافظ على وجوده ليقود الامة. لذا فلا يمكن ان يطلب من القيادة الدينية اللاحقة ان تفعل ما فعلته السابق عليها، لان السلسلة ستنقطع دون ان يتم المطلوب منهم، وهو ان يبعث اثنا عشر اماما وبهم يتم التشريع. وعلى هذا الاساس احتج عليهم الإمام الرضا (عليه السلام) بعدم مواجهة هارون العباسي لان هناك دورا يقوم به اولى من مواجهة هارون . بل لعله فعل ما يوهم هارون بأنه لا يريد مواجهته، كما ورد في بعض الروايات:

عن علي بن جعفر عن أبي الحسن الطيب قال : سمعته يقول : لما توفى أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) دخل أبو الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) لسوق ، فاشترى كلبا وكبشا وديكا فلما كتب صاحب الخبر إلى هارون بذلك قال : قد أمنا جانبه وكتب الزبيري أن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) قد فتح بابه ودعا إلى نفسه فقال هارون : واعجبا من هذا ! يكتب إن علي بن موسى عليه السلام قد اشترى كلبا وكبشا وديكا ويكتب فيه بما يكتب[٣٨].

الامر الثالث: نلاحظ كيف ان الانتهازيين يكتمون الحقائق ويحرفون النصوص لكي تتماشى مع ما احدثوه من بدع معتمدين بذلك على صحبتهم للإمام الكاظم (عليه السلام) وحسن ظن الاخرين بهم، وقد اشاروا الى هذا المعنى بقولهم (روينا). على الرغم من وصف الإمام الكاظم (عليه السلام) لهم بأشباه الحمير، ويقصد به الحمار الذي يحمل اسفارا على حد تعبير القران الكريم، فقد ورد عن عتيبة بياع القصب ، عن علي بن أبي حمزة البطائني عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال ، قال لي : يا علي أنت وأصحابك أشباه الحمير[٣٩] .

وورد عن (محمد بن عيسى بن عبيد عن عبد الرحمن بن أبي نجران وصفوان بن يحيى قالا : حدثنا الحسين بن قياما وكان من رؤساء الواقفة فسألنا أن نستأذن له على الرضا (عليه السلام) ففعلنا فلما صار بين يديه قال له : أنت إمام ؟ قال : نعم قال : إني أشهد الله إنك لست بإمام قال : فنكت عليه السلام في الأرض طويلا منكس الرأس ثم رفع رأسه إليه فقال له : ما علمك إني لست بإمام ؟ قال له : إنا قد روينا عن أبي عبد الله (عليه السلام) إن الامام لا يكون عقيما وأنت قد بلغت السن وليس لك ولد قال فنكس رأسه أطول من المرة الأولى ثم رفع رأسه فقال : إني أشهد الله أنه لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ولدا مني قال عبد الرحمن بن أبي نجران : فعددنا الشهور من الوقت الذي قال فوهب له أبا جعفر (عليه السلام) في أقل من سنة قال : وكان الحسين بن قياما هذا واقفا في الطواف فنظر إليه أبو الحسن الأول (عليه السلام) فقال ما لك حيرك الله تعالى ؟ ! فوقف عليه بعد الدعوة)[٤٠].

تحصين الامة بكشف حقائقهم

لم يكتف الإمام الرضا (عليه السلام) بمناقشتهم وكشف اباطيلهم ، وانما استثمر كل فرصة تسنح له ليفضح امرهم امام الملأ؛ لوجود الاتباع لهؤلاء المبطلين فلم يتخل عنهم ولم يبخل عليهم بالنصح. فقد ورد (عن محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال ، قلت : جعلت فداك اني خلفت ابن أبي حمزة وابن مهران وابن أبي سعيد أشد أهل الدنيا عداوة لله تعالى . قال ، فقال : ما ضرك من ضل إذا اهتديت ، انهم كذبوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكذبوا أمير المؤمنين وكذبوا فلانا وفلانا وكذبوا جعفرا وموسى ، ولي بآبائي (عليهم السلام) أسوة . قلت جعلت فداك انا نروي أنك قلت لابن مهران أذهب الله نور قلبك وأدخل الفقر بيتك . فقال : كيف حاله وحال بزه ؟ قلت : يا سيدي أشد حال هم مكروبون وببغداد لم يقدر الحسين أن يخرج إلى العمرة ، فسكت ، وسمعته يقول في ابن أبي حمزة : أما استبان لكم كذبه ؟ أليس هو الذي يروي أن رأس المهدي يهدى إلى عيسى بن موسى وهو صاحب السفياني ؟ وقال : ان أبا الحسن يعود إلى ثمانية أشهر ؟)[٤١].

عن سعد بن سعد ، عن أحمد بن عمر قال : سمعت الرضا (عليه السلام) يقول في ابن أبي حمزة : أليس هو الذي يروي أن رأس المهدي يهدى إلى عيسى بن موسى ، وهو صاحب السفياني . وقال : إن أبا إبراهيم (عليه السلام) يعود إلى ثمانية أشهر ، فما استبان لهم كذبه ؟)[٤٢].

عن محمد بن سنان قال : ذكر علي بن أبي حمزة عند الرضا عليه السلام فلعنه ، ثم قال : إن علي بن أبي حمزة أراد أن لا يعبد الله في سمائه وأرضه ، فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون ، ولو كره اللعين المشرك . قلت : المشرك ؟ قال : نعم والله وإن رغم أنفه كذلك [و] هو في كتاب الله (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم)[٤٣].

عن يونس بن عبد الرحمن ، قال : دخلت على الرضا (عليه السلام) فقال لي : مات علي بن أبي حمزة ؟ قلت : نعم ، قال : قد دخل النار ، قال : ففزعت من ذلك ، قال : أما أنه سئل عن الامام بعد موسى أبي فقال : لا اعرف إماما بعده ، فقيل : لا فضرب في قبره ضربة اشتعل قبره نارا [٤٤].

وان أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال : إني كنت من الواقفة على موسى بن جعفر (عليه السلام) ، وأشك في الرضا (عليه السلام) ، فكتبت إليه أسأله عن مسائل ونسيت ما كان أهم [المسائل] إلي ؟ فجاء الجواب عن جميعها ، ثم قال : وقد نسيت ما كان أهم المسائل عندك . فاستبصرت ، ثم قلت له : يا بن رسول الله أشتهي أن تدعوني إلى دارك في أوقات تعلم أنه لا مفسدة لنا من الدخول عليكم من أيدي الأعداء . قال : ثم بعث إلي مركوبا في آخر يوم ، فخرجت إليه ، وصليت معه العشاءين ، وقعد يملي علي من العلوم ابتداءً ، وأسأله فيجيبني ، إلى أن مضى كثير من الليل . ثم

قال للغلام : هات الثياب التي أنام فيها ، لينام أحمد البزنطي فيها . قال : فخطر ببالي أن ليس في الدنيا من هو أحسن حالا مني ، بعث الامام مركوبه إلي ، وقعد إلي ، ثم أمر لي بهذا الاكرام !(٤٥).

ورجع جماعة عن القول بالوقف مثل : عبد الرحمن بن الحجاج ، ورفاعة بن موسى ، ويونس بن يعقوب ، وجميل بن دراج ، وحماد بن عيسى ، وأحمد بن محمد بن أبي نصر ، والحسن بن علي الوشا ، وغيرهم ، والتزموا الحجة (٤٦).

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .

٢. اختيار معرفة الرجال ، لشيخ الطائفة أبى جعفر الطوسي (قده) ، تحقيق السيد مهدي الرجائي ، طبع : مطبعة بعثت – قم تاريخ الطبع : ١٤٠٤ هـ،نشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام .

٣. الإرشاد ، الشيخ المفيد ، جميع حقوق الطبع محفوظة الطبعة الثانية ١٤١٤ هجرية – ١٩٩٣ ميلادية طبعت بموافقة اللجنة الخاصة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد – دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع.

٤. اصول الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، الطبعة الخامسة ، دار الاسوة للطباعة والنشر ١٤٢٥ هـ .

٥. الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .

٦. بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء بيروت – لبنان، الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

٧. بصائر الدرجات الكبرى ، تأليف : أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار ، الناشر : مؤسسة الأعلمي – طهران المطبعة : الأحمدي – طهران .

٨. تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال للشيخ الجليل أبي العباس أحمد بن علي النجاشي ، الطبعة الأولى النجف الأشرف ١٣٨٩ هـ ق .

٩. خطاب المرحلة ، سماحة المرجع الديني اية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) ، دار المتقين للطباعة والنشر ، مؤسسة البديل ١٤٣٣ هـ .

١٠. علل الشرايع ، تأليف الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ره المتوفى سنة ٣٨١ هـ ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٦ م.

١١. عيون أخبار الرضا ، للشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي قده المتوفى سنه ٣٨١ صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى .

١٢.الغيبة ، النعماني ، ابن ابي زينب الكاتب، تحقيق فارس حسون كريم ، الطبعة الاولى ١٤٢٦، مطبعة النهضة.
١٣.كتاب الخرايج والجرايح : تأليف الشيخ الصدوق سعيد بن هبة الله ، الراوندي ، طبع مرة في مطبعة ملك الكتاب في ١٣٠١ من الهجرة النبوية ، ومخطوطه موجود في المكتبة الرضوية وغيرها .
١٤.كتاب الغيبة ، ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، مطبعة العترة ١٤٢٥ هـ ، ايران / قم .
١٥.مصباح المتهجد ، الشيخ الطوسي ،الطبعة : الأولى ،سنة الطبع : ١٤١١ – ١٩٩١ ،الناشر : مؤسسة فقه الشيعة – بيروت – لبنان .

١٦.معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ،المتوفى : ١٤١١ هـ ،الطبعة الخامسة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .
١٧.مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ٢٨٤ – ٣٥٦ ، قدم له وأشرف على طبعه كاظم المظفر ، الطبعة الثانية الناشر مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم – إيران منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف ت (٣٦٨) ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م .

١٨.مناقب آل أبي طالب ،تأليف الإمام الحافظ ابن شهرآشوب ، المتوفى سنة ٥٨٨ هـ ، قام بطبعه محمد كاظم ألكتبي صاحب المكتبة والمطبعة الحيدرية ١٩٥٦ م طبع في المطبعة الحيدرية في النجف .

١٩.نقد الرجال ، تأليف :مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي ، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم . الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : شوال ١٤١٨ ، المطبعة : ستارة – قم ، الناشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم ـ ايران .
٢٠.وسائل الشيعة ، تأليف الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى سنة ١١٠٤ هـ . تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة : الثانية ١٤١٤، المطبعة : مهر – قم .

الهوامش

(١).بصائر الدرجات ص ٩٧ .
(٢).الكافي ج٨ ص ٨١ ، الأمالي الشيخ الطوسي ص ١٤٤ .
(٣).إعلام الورى بأعلام الهدى ،ج٢ ، ص ٤٠ .
(٤).علل الشرائع : أحمد بن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن جده مثله ،مرسلا مثله ، عيون أخبار الرضا (ع) .
(٥).بصائر الدرجات ص ١٧٨، عيون اخبار الرضا (عيه السلام) الشيخ الصدوق ج٢ ص ٤٠.
(٦).الارشاد الشيخ المفيد ج٢ ص ٢٥٠.
(٧).عيون اخبار الرضا (عليه السلام) ج٢ ص ٤٠.
(٨).مقاتل الطالبيين ابو الفرج الاصفهاني ص ٣٣٣ـ ٣٣٤. الارشاد الشيخ المفيد ج٢ ص ٢٣٨ـ ٢٣٩.
(٩).اختيار معرفة الرجال الشيخ الطوسي ج٢ ص ٧٦٠.

(١٠).الغيبة الشيخ الطوسي ص ٦٤.

(١١).الغيبة الطوسي ص ٦٥.

(١٢).بحار الأنوار للمجلسي، مج ١١، صفحة ٤٠٤.

(١٣).وسائل الشيعة: كتاب التجارة، أبواب ما يكتسب به، باب ٥١، ح١١.

(١٤).خطاب المرحلة محمد اليعقوبي ج٦ ص ٢٣ـ ٢٤ الخطاب رقم ٢١٠ بعنوان تنشيط القطاع الخاص والمواجهة الحضارية.

(١٥).الخرايج والجرايح ج٢ ص ٦٦٣.

(١٦).اختيار معرفة الرجال ج٢ص٧٧٥.

(١٧).اختيار معرفة الرجال الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٧٧٧.

(١٨).اختيار معرفة الرجال الطوسي ج٢ ص٧٧٥.

(١٩).اختيار معرفة الرجال الطوسي ج٢ ص ٧٧٦.

(٢٠).نقد الرجال التفريشي ج٤ ص ١٥٠.

(٢١).مصباح المتهجد الطوسي ص ٤٥.

(٢٢).اختيار معرفة الرجال الطوسي ج٢ ص ٧٧٤.

(٢٣).الفهرست الطوسي ص ١٣٤، رجال ابن داوود ابن داوود الحلي ص ٢٤٥ .

(٢٤).تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي السيد محمد علي الابطحي ج٢ ص ٤٣٦.

(٢٥).اختيار معرفة الرجال الطوسي ج٢ ص ٧٧٣.

(٢٦).ـ قوله عليه السلام " أن رأس المهدي " الخ المراد من المهدي هو محمد بن الخليفة العباسي المنصور المتولي للخلافة سنة ١٥٨ بعهد من أبيه المتوفى سنة ١٦٩ ، وكان جده السفاح عقد الخلافة أولا لأخيه عبد الله المنصور وجعله ولي عهده ومن بعده لابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي ، ولكن المنصور عهد في موته لابنه المهدي محمد المزبور ، ثم إنه أجبر عيسى بن موسى المذكور على الخلع فخلع نفسه عن الخلافة فجعلها المهدي لابنه الهادي موسى ، وبعده لابنه الآخر هارون.

(٢٧).الغيبة الطوسي ص ٧٠.

(٢٨).ـ مناقب ال ابي طالب ، ج٣، ص ٤٥١.

(٢٩).ـ بحار الانوار ج٤٩، س ١١٥.

(٣٠).ـ عيون اخبار الرضا (ع) ، ج١ ص ٢٣٠.

(٣١).بحار الانوار ج٤٩ ص ٧٣ـ ٧٧ .

(٣٢).بحار الانوار ج ٤٩ ص ٧٩ـ ٨١.

(٣٣).آل عمران١٤٤.

(٣٤).علي بن أبي حمزة – واسم أبي حمزة سالم – البطائني أبو الحسن مولى الأنصار ، كوفي ، وكان قائد أبي بصير يحيى بن القاسم وله أخ يسمى جعفر بن أبي حمزة روى عن أبي الحسن موسى (عليه السلام)، وروى عن أبي عبد

الله عليه السلام ، ثم وقف ، وهو أحد عمد الواقفة . وصنف كتبا عدة ، منها : كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب التفسير وأكثره عن أبي بصير – كتاب جامع في أبواب الفقه . رجال النجاشي ص ٢٥٠.

(٣٥).ابن السراج : هو أحمد بن أبي بشر السراج كوفي مولى يكنى أبا جعفر ثقة في الحديث واقفي ، لاحظ ما ذكره الكشي في ذمه وذم علي بن أبي حمزة كما في المتن . ابن أبي سعيد المكارى هو الحسين بن هاشم بن حيان المكارى أبو عبد الله ، كان هو وأبوه وجهين في الواقفة وقد ذكر الكشي ذموما فيه كما في المتن فراجع رجال الكشي ص ٢٩٠ . بحار الانوار ج٤٨، هامش ص ٢٦٩.

(٣٦).الحسين بن هاشم . قال النجاشي : " الحسين بن أبي سعيد ، هاشم بن حيان (حنان) المكاري أبو عبد الله ، كان هو وأبوه وجهين في الواقفة ، وكان الحسين ثقة في حديثه . ذكره أبو عمرو الكشي في جملة الواقفة وذكر فيه ذموما، له كتاب نوادر كبير . معجم رجال الحديث السيد الخوئي ج٦ص ١٩٥.

(٣٧).اختيار معرفة الرجال الشيخ الطوسي ج٢ ص ٧٦٣ـ ٧٦٤. بحار الانوار ج ٤٨ ص ٢٦٩ـ ٢٧٠.

(٣٨).عيون اخبار الرضا (عليه السلام) ج١ ص٢٢٢.

(٣٩).اختيار معرفة الرجال الشيخ الطوسي ج٢ ص ٧٠٦ ، الغيبة للطوسي ص ٦٧.

(٤٠).عيون اخبار الإمام الرضا ج١ ص ٢٢٧.

(٤١).اختيار معرفة الرجال الطوسي ج٢ ص ٧٠٧.

(٤٢).الغيبة للطوسي ص ٧٠.

(٤٣).غيبة الطوسي ص ٧٠ ، اختيار معرفة الرجال للطوسي ج٢ ص ٧٠٧ .

(٤٤).اختيار معرفة الرجال الطوسي ج٢ ص ٧٤٢.

(٤٥).الخرايج و الجرايح ج٢ ص ٦٦٣.

(٤٦).مناقب ال ابي طالب ابن شهر اشوب ج٣ ص ٤٤٨.